العمليات العسكرية لدول الحلفاء والمحور فوق الأرض الليبية

الدكتور/ إدريس عبد الصادق رحيل - قسم التاريخ كلية الآداب - جامعة طبرق

المقدمة :

أدى نشوب الحرب العالمية الثانية إلى انقسام العالم إلى كتل متصارعة فيما بينها كتلة الحلفاء بزعامة بريطانيا وفرنسا من جهة، وكتلة المحور بزعامة ألمانيا وإيطاليا واليابان من جهة أخرى، وقد جر الصراع دول أخرى للدخول في الحرب المحتدمة ودائرة النزاع القائم، فقد نشأ خلاف بين بريطانيا، وإيطاليا بسبب حرب الحبشة عام 1935م، وفي أثنائه ظهرت أهمية ليبيا عامة وبرقة بصورة خاصة وخطورة مركزها، فعندما طالبت بريطانيا في عصبة الأمم بتوقيع عقوبات اقتصادية علي إيطاليا، ردت الحكومة الإيطالية علي ذلك بتعزيز قواتها في برقة، ثم اشتدد الخطر بعد التقارب الإيطالي الألماني، وأصبح في الشرق الأوسط ماثلا، وقد تأكد ذلك حينما رفع الكونت شيانو وزير الخارجية خطة موسوليني المقبلة ، وأهم ما تضمنته احتلال المراكز الاستراتيجية التابعة لبريطانيا.

وقد تفاقم الخلاف القائم بين بريطانيا وإيطاليا وأدى في نهاية الأمر إلى حرب دامية حيث تصارع قطبي المواجهة في نزاع محتدم فوق الأرض الليبية على شكل حملات متتالية بين كر وفر.

ويستعرض هذا البحث العمليات العسكرية لدول الحلفاء، والمحور فوق الأرض الليبية، ومن خلاله يحاول الباحث إعطاء صورة مبسطة عن مجريات الأحداث في الحرب العالمية الثانية، وتأرجح ميزان القوى فوق رمال ليبيا خلال عامي 41-1942م بصورة لم يسبق لها نظير فكانت هذه المرحلة صراعا بين قوة الإنتاج الألماني، وقوة إنتاج الحلفاء، وأيضا الدور المؤثر للجيش الليبي في مجريات الحرب من خلال ما قدمه من المساعدات التي كان لها الأثر الكبير في انتصار قوات الحلفاء.

العمليات العسكرية لدول الحلفاء والمحور فوق الأرض الليبية :

احتل حوض البحر المتوسط، خلال الحرب العالمية الثانية، مركزاً مهماً في الصراع الدولي. فبانتهاء معركة فرنسا، توقفت العمليات البرية في أوروبا، وانتقل مركز الثقل ومحور الاهتمام إلى معركة الشرق الأوسط التي دارت بين بريطانيا وإيطاليا(1).

فالحرب أُعلنت رسمياً بين الطرفين في جبهة شمال أفريقيا وأصبح الحيز الليبي المعروف باسم (نتوء برقة) ميداناً فسيحاً لتصارع القوى الأوروبية لفترة زمنية امتدت من سبتمبر 1940م، حتى يناير 1943م، تبادل المتحاربون خلالها المراكز الإستراتيجية المهمة أكثر من مرة على شكل حملات متتالية بين كر وفر(2).

على ضوء النشاط الحربي، والأوضاع القائمة عامةً، تبين للقيادة البريطانية وعلى رأسها الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عام 1939م، ضعف قوتها العددية مقارنة بالقوات الإيطالية مع بداية الحرب العالمية الثانية، ولم يكن في ذلك الوقت غير "جيش النيل" المكلف بالدفاع عن مصر وقوامه 8 آلاف جندي بريطاني، فضلاً عن لواء الفرقة الرابعة الهندية[3] .

وبعد إعلان الحرب وصل إلى مصر لواء هندي آخر وفي فبراير 1940م وأثناء الحرب، وصل لواء استرالي، وآخر نيوزلندي في منتصف العام، ووصل تعداد "جيش النيل" في مصر إلى 36 ألف مقاتل لذلك نظم (ويفل) الأعمال القتالية على الجبهة الغربية، بتنفيذ أعمال الإغارات، والهجمات المحدودة الصغرى، وسميت القوة البريطانية، المخصصة لهذه المهمة بقوة "الصحراء الغربية"، وتولى قيادتها الجنرال رتشارد أوكنورRichard Auknor[4] .

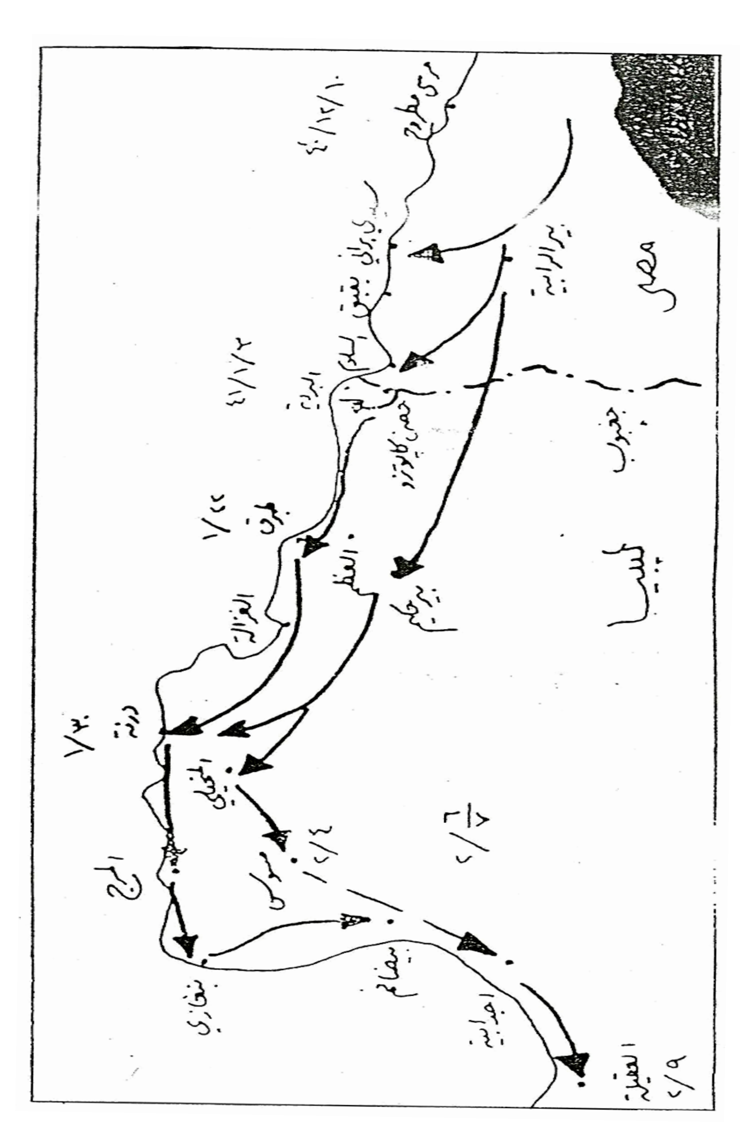
في حين قسمت القيادة الإيطالية العليا قواتها في ليبيا إلى جيشين الجيش الخامس في طرابلس، والعاشر في برقة، وكان الأخير بقيادة الجنرال غراتسياني، الذي بدأ تحركه في 14 سبتمبر 1940م، واجتاز الحدود المصرية يوم 18 منه ووصلت قواته إلى سيدي براني بعد ثلاثة أيام، مبتعدة مسافة 60 ميلاً عن قواعدها الإدارية حيث تمركزت فيها لاستكمال استعداداتها لمتابعة هجومها نحو وادي النيل الأمر الذي أذهل المراقبين العسكريين وبذلك أعطى للجنرال ويفل فرصة نادرة لتعزيز قواته تمكنه من شن هجوم معاكس[5]، ففي 9 ديسمبر 1940م أصدر ويفل أوامره إلى قائد قوة الصحراء الغربية الجنرال أوكنور بالهجوم المضاد العام، فدارت معركة بين الطرفين تمكنت فيها القوات البريطانية من تدمير معظم الفرق الإيطالية، ودفعتها للاستسلام، وأعاد البريطانيون سيدي براني، وشرعت في مطاردة الفلول الإيطالية المنهزمة فسقطت البردي في 5 يناير 1941م، وتبعتها أمساعد، ثم طبرق التي تمكنت القوات البريطانية من احتلالها يوم 21 يناير في نفس العام، والتي كان باعتقاد أوكنور، كما اعتقد رومل فيما بعد، أنه ليس بإمكان أية قوة عسكرية التقدم إلى ما ورائها قبل التمكن منها[6].

وفي يوم 23 منه سقطت درنه دون مقاومة تذكر، ولم تستطع حاميتها الإيطالية المكونة من عشرة آلاف جندي الدفاع عنها[7]، واستمرت المطاردة بقيادة أوكنور إلى مدينة اجدابيا، ومن جهة أخرى توسعت لتشمل الصحراء حيث توجد القوات الإيطالية، فقطعت القوات البريطانية الطرق التي تربط المخيلي ودرنه، واحتلت مهابط الطائرات في التميمي والبمبة وعين الغزالة من سلاح الجو الإيطالي.

أما المخيلي فقد كان التمسك بها شديداً ؛ لأنها نقطة التقاء الطرق الصحراوية، الموصلة إلى بنغازي، فتمركزت بها قوة مانيتي المدرعة، ولكنها هزمت وأصبح الطريق إلى بنغازي مفتوحاً واستمرت المطاردة في خطين شمالي وجنوبي، اتجهت مجموعة الشمالي إلى بنغازي عن طريق جنوب سلوق،

ومجموعة الجنوب إلى عنتلان وحطت قرب الشاطئ، ووفقاً للخطة المرسومة، التقت القوات البريطانية بقسميها المذكورين أمام بنغازي التي كانت مقراً لقيادة غراتسيانيGraziani ومركزاً لقاعدته الحربية.

وبالرغم من دفاع الإيطاليين المستميت عنها فإن القوات البريطانية قد انتصرت في نهاية المعركة يوم 6 فبراير 1941م. بعد ذلك اتجهت القوات البريطانية نحو إجدابيا والعقيلة حيث تم القضاء على الجيش العاشر بكامله. عندئذ لم ير المارشال غراتسياني بداً من الرضوخ للأمر الواقع، فتنازل للجنرال غاريبالديGareeBaldi، الذي يشغل رئيس الأركان[8].



خريطة رقم (1)
هجوم القوات البريطانية والحليفة من حدود مصر إلى داخل الأراضي الليبية
انظر المصدر: فاروق الحريري، حملات الحرب العالمية الثانية، بغداد: مديرية المطابع العسكرية، 1984م

ولقد كان للهزائم الإيطالية فوق الأرض الليبية رد فعل عنيف في ألمانيا، حيث قام أدولف هتلر الزعيم النازي في 12 فبراير 1941م، باستدعاء الجنرال اللامع أروين رومل Rommel وكلفه بقيادة حملة عسكرية مهمتها مساعدة الجيش الإيطالي المندحر من ليبيا بشمال أفريقيا قبل أن تقع طرابلس بيد

القوات البريطانية. كانت المهمة سهلة بالنسبة لرومل، بعد أن أضطر الجنرال ويفل إلى نقل قسم من "قوة الصحراء الغربية" إلى اليونان لمواجهة القوات الألمانية المتقدمة هناك[9].

ولكن سرعان ما تحّرج موقف القوات البريطانية في برقة، وذلك لما كان يتمتع به رومل من مقدرة بحكم نزعته وعدم الركون إلى الدفاع، وبعد دراسة سريعة للموقف، وقضاء أسبوع في الاستطلاعات الحيوية، تقدم رومل شرقاً بأسرع ما يمكن وبدأ هجومه على برقة يوم 31 مارس 1941م، وبدأ ويفل بسحب قواته أمام ضغط هجمات قوات رومل، فأخليت مدينة بنغازي، وأبيدت الفرقة الأولى المدرعة البريطانية، التي كانت وصلت حديثاً من بريطانيا، واجتاح " الفيلق الأفريقي" الألماني قوات اللواء الثالث الآلي الهندي، واستولت قوات رومل على بنغازي في ليلة 3 أبريل، وأسر الجنرال أوكنور قائد قوات الصحراء الغربية في 6 أبريل عند المخيلي، وتم الاستيلاء على كل من المخيلي ودرنه في 18 أبريل[10].

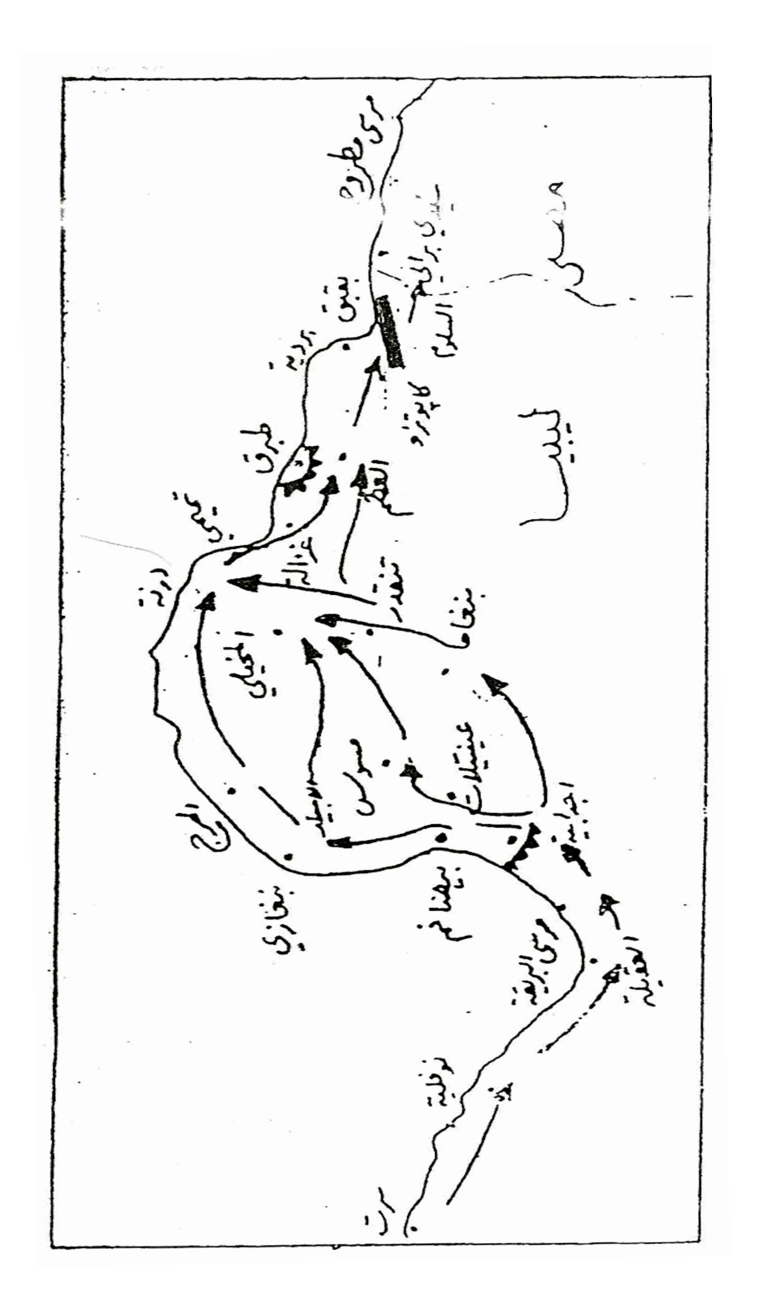
أما القوات المنسحبة فقد تجمعت في طبرق وازداد تمسكها بها والاستفادة من تحصيناتها المنيعة التي سبق للإيطاليين تشييدها، وهي تتكون من نطاقين دفاعيين تفصل بينهما مسافة كيلومتر، فالنطاق الداخلي به الخنادق المشيدة بالأسمنت المسلح وضعت فيها مدافع الهاون والرشاشات تتخللها مواقع الدبابات، وحول النطاق الخارجي تم حفر خندق لا يسمح بعبور الدبابات، وقد زرعت فيه الألغام المضادة، لذا تجاوزها رومل دون أن يقوم بمحاولة اقتحامها، وضرب حصاره الذي استمر ثمانية أشهر على مدينة طبرق، وواصل تقدمه في 8 أبريل 1941م، إلى البردي والسلوم وكابوتزو على الحدود المصرية، واستطاع رومل إلحاق هزيمة قاسية بالقوات البريطانية الموجودة في برقة خلال اثني عشر يوماً فقط[11].

وفي 15 يونيو 1941م، بدأ الجنرال ويفل الهجوم البريطاني ببعض عناصر الفرقة السابعة المدرعة من قوة الصحراء الغربية بغرض تدمير قوات رومل لاستعادة البردي والسلوم وكابوتزو ومتابعة الهجوم في حال نجاحه، عند طبرق لفك حصارها، إلا أنه فشل في هجومه في هذه المعركة التي سميت بمعركة الفأس، وأصدر أوامره بسحب الفرقة السابعة إلى منطقة مرسى مطروح، مع ترك قوة ساترة لمراقبة الحدود المصرية -الليبية[12].

وعلى إثر فشل ويفل قرر ونستون تشرشل رئيس الوزراء البريطاني في 21 يونيو 1941م، عزل ويفل من منصبه وتعيين الجنرال أوكنلكOuchinleck خلفاً له، وسرعان ما قام القائد الجديد بإعادة تنظيم قوة الصحراء الغربية وزيادة حجمها، وأطلق عليها اسم الجيش الثامن وتولى قيادة الجنرال كانتجهامKantgaham. وفي 18 نوفمبر 1941م، بدأ الهجوم البريطاني على الفيلق الأفريقي، في معركة الصليبي (كروسيدر)، وكانت هذه المعركة الأولى التي يشنها الجيش الثامن تحت هذا الاسم الجديد[13].

وفي 25 نوفمبر 1941م، وبعد فشل الجيش الثامن في المعركة آنفة الذكر قرر الجنرال أوكنلك تنحية الجنرال كاننجهام وتعيين الجنرال ريتشي، ففي 8 ديسمبر 1941م تمكن الجيش الثامن، بعد إعادة تنظيمه،

من صد هجوم قوات المحور، واحتلال منطقة سيدي رزق، وأيضاً تم في يوم 9 منه الاستيلاء على منطقة العدو ومطارها، وفي اليوم التالي سقطت عكرمة؛ وخلال تلك العمليات، تم الاتصال بحامية طبرق، بعد انسحاب قوات المحور من حولها، ورفع عنها الحصار، وفي الوقت نفسه انسحب المارشال رومل غرباً حتى وصل إلى منطقة عين الغزالة.



خريطة رقم (2)

هجوم قوات المحور من داخل ليبيا إلى الحدود المصرية (24 مارس – 25 أبريل 1941م)

انظر المصدر: فاروق الحريري، حملات الحرب العالمية الثانية، بغداد: مديرية المطابع العسكرية، 1984م

وفي 14 ديسمبر من نفس العام، بدأ هجوم قوات من الجيش الثامن، وتمكنت من فتح ثغرة في دفاعات قوات المحور، على عين الغزالة-بئر حكيم، واستولت على بعض النقاط الدفاعية القوية، التي تسيطر على منطقة عين الغزالة، وفي 15 منه قرر رومل التخلي عن منطقة عين الغزالة، والارتداد غرباً إلى خط العقيلة الدفاعي[14]، وبذلك أصبحت خطوط مواصلات العدو وإمداد الجنرال ريتشي طويلة، مما صعب

الوفاء بمطالب القوات في الخطوط الأمامية. ونتيجة لهذا الموقف الإداري السيء، أصبحت قوات الجيش الثامن أمام المواقع الدفاعية الأمامية في مواجهة قوات المحور ساترة بقوة من لواء الفرقة الأولى المدرعة بينما القوة الرئيسية للفرقة في الخلف على مسافة 90 ميلاً من العقيلة. ولم تتمكن تلك القوة الساترة من إقامة الدفاعات القوية في مواقعها لأنها لم تكن تتوقع أن يقوم رومل بهجوم مضاد مبكر، وفي يوم 21 يناير 1942م، بدأ الهجوم المضاد الألماني، وتمكن من تطويق جزء كبير من دبابات الفرقة الأولى المدرعة وتدميرها، وفي يوم 29 منه سقطت بنغازي[15].

وفي نهاية يوم 4 فبراير 1942م، استقرت قوات الجيش الثامن على خط عين الغزالة-بئر حكيم، وفي يوم 6 منه وصلت قوات المحور أمام هذا الخط، وتوقفت عنده لمدة أربعة أشهر تقريباً، وأخذ الطرفان، خلال هذه الفترة يستعدان للمعركة العنيفة، وفي مايو 1942م، وضعت قيادة الجيش الثامن البريطاني، بقيادة الجنرال ريتشي، عدة حلول مقترحة لخطته الهجومية، في المعركة المقبلة عين الغزالة- بئر حكيم، وكان أحد هذه الحلول تنفيذ هجوم كاسح، من خط الغزالة إلى بنغازي (حوالي 120 ميلاً)، والحل الآخر هو تجهيز واحتلال عدة مواقع دفاعية متتالية، مدعمة بالمدفعية والمدرعات، أمام الخطوط الدفاعية البريطانية، حتى يضطر رومل لمهاجمتها، وبذلك تسنح الفرصة لقوات الجيش الثامن لتدمير قوات رومل المدرعة.

وفي 26 مايو 1942م، هاجم رومل الخط الدفاعي لقوات الجيش الثامن، قبل أن تتوصل القيادة البريطانية إلى القرار النهائي بالهجوم أو الدفاع، وتمكن رومل بعد قتال عنيف استمر حتى 29 يونيو 1942م، من تحقيق النصر وهزيمة الجيش الثامن، بتدمير الجزء الأكبر من مدرعاته، وإجباره على التقهقر بسرعة كبيرة، في اتجاه مرسى مطروح[16].

بعد أن تمكن رومل من احتلال طبرق في 21 يونيو 1942م، وبينما كان تقهقر الجيش الثامن على أشده، قرر الجنرال أوكنلك القائد العام للقوات البريطانية في الشرق الأوسط، في 25 من الشهر نفسه، عزل الجنرال ريتشي عن قيادة الجيش الثامن وتولي قيادته بنفسه، فضلاً عن عمله، ولم يغير شيئاً في قيادته إلا أنه غير خطة ريتشي تغييراً جوهرياً، فقرر أن يكون التوقف النهائي في العلمين، خشية أن تُعزل قوات أخرى وتحاصر، وتقع في الأسر وتتكرر مأساة طبرق ثانية لذا طالب قواته بالاستماتة في القتال، وتعطيل قوات رومل لأطول فترة ممكنة، حتى يتمكن من تحصين وتجهيز العلمين كموقع أخير للدفاع[17]، وفي 29 يونيو، تمكن رومل من الوصول إلى دفاعات مرسى مطروح، وهزيمة قوات الجيش الثامن على هذا الخط، وأسر ما يزيد عن 8 آلاف جندي بريطاني، وتراجعت على إثر هذا قوات الجيش الثامن إلى موقع العلمين، واستمرت أعمال القتال في خط العلمين حتى 27 يونيو 1942م، وانتهت بفشل أوكنلك نهائياً في المعارك التي خاضها ضد رومل[18].

وعلى إثر العمليات البريطانية الفاشلة، أصدر رئيس وزراء بريطانيا "ونستون تشرشل" Churchill أمراً بعزل أوكنلك وتعيين الجنرال هارولد ألكسندر Harold Alexander قائداً عاماً للقوات البريطانية في الشرق الأوسط. وفي 7 أغسطس 1942م، أصدر أمراً بتعيين الجنرال جوت Jout، قائد الفيلق الثالث عشر، قائداً للجيش الثامن، إلا أنه قُتل في اليوم نفسه، عندما أسقطت طائرته طائرة مقاتلة ألمانية وهو متجه إلى القاهرة لاستلام قيادته الجديدة[19] فأصدر تشرشل أمره الصائب في 12 أغسطس 1942م، بتعيين الجنرال بيرنارد مونتغمريMontgomery، وهو أحد ألمع القادة الميدانيين في الحرب العالمية الثانية؛ والذي قُدر له، بعبقريته الفائقة، أن يقلب الموازين العسكرية في شمال أفريقيا وربما في سير الحرب، لصالح بريطانيا والحلفاء.

بادر مونتغمري، بعد توليه القيادة، إلى استعدادات هائلة لصد هجوم رومل المنتظر، بينما كان يستعد في الوقت نفسه لتوجيه ضربته الحاسمة، وتبين له أن (تبة علم حلفا) ذات أهمية حيوية لخط العلمين برمته، لأنها تتحكم في منطقة كبيرة من الأرض الواقعة حولها، كما أنها تعترض طريق تقدم رومل نحو منطقة الحمام، وتهدد جناحه الأيمن، في طريقه نحو تبةالرويسات، إذا نجح في الالتفاف حول الجناح الأيسر للقوات البريطانية، إذ لو أمكن للقائد الألماني الاستيلاء عليها لتأتّى له تهديد الخط البريطاني تهديداً خطيراً، لذلك استدعى مونتغري الفرقة 44 المشاة البريطانية التي وصلت حديثاً من بريطانيا، وكلفها باحتلال منطقة علم حلفا في حين عمد إلى تقوية مواقعه الدفاعية[20].

وأعاد مونتغمري تشكيل قوات الجيش الثامن، في خط العلمين الدفاعي، بناءً على هذه الخطة قبيل معركة علم حلفا، وبذلك ضاع آخر أمل للجنرال رومل في الوصول إلى قناة السويس، إثر تمكن مونتغمري، ليلة 30 – 31 أغسطس، من صد هجومه الأخير على خط العلمين في معركة علم حلفا، وهي واحدة من المعارك المهمة في التاريخ العسكري، والتي بقيت تُدرّس في الأكاديميات العسكرية كنموذج للمعارك الناجحة[21] هذه المعركة ظلت مستمرة بين كر وفر، إلى يوم 6 سبتمبر 1942م، حيث اضطرت قوات المحور إلى الانسحاب من معظم نقاط المعركة، وفي يوم 7 سبتمبر 1942م، أمر مونتغمري بإيقاف القتال في معركة علم حلفا، وعدم تنفيذ أي هجمات مضادة ضد قوات رومل، وكان قراره هذا لإعادة تنظيم قواته، ووصول إمدادات جديدة له، وعندما خسر رومل هذه المعركة فقد نهائياً الأمل في الوصول إلى الإسكندرية على الأقل[22] ويصف فون ايزبيك هذه المعركة بقوله:

"إن هذه الموقعة دامت ثلاثة أيام بلياليها كانت أكبر موقعة دبابات منذ بداية الحرب، وسجلت فيها القيادة الألمانية ظفراً مبيناً، ولم يتمكن الإنجليز من تحقيق هدفهم الأساسي"[23].

ومن جانب الحلفاء، بدأ مونتغمري بدراسة الموقف، والقيام بجولات استطلاعية وتفقدية متتابعة لوحداته المقاتلة، التي كانت في حالة معنوية سيئة نتيجة للخسائر الكبيرة المتتالية التي أصابتهم في

معاركهم السابقة (قبل توليه قيادة الجيش) من أجل ذلك قام بتغيير بعض قادة تشكيلات قواته في المنطقة، ووضع برنامجاً تدريبياً شاملاً وواسعاً وعنيفاً لعمليات الهجوم الليبي وسط حقول الألغام، وأجرى معارك تجريبية، كل ذلك فضلاً عن تكديس الأسلحة والعتاد والتموين[24]، وبذلك أصبح الجيش الثامن البريطاني على استعداد كامل للبدء في تنفيذ العمليات الهجومية ففي 30 سبتمبر 1942م، في الفترة ما بين نهاية معركة علم حلفا وبدء معركة العلمين، نفذ الجيش الثامن بقيادة مونتغمري هجوماً تمهيدياً لمعركة العلمين، بغرض السيطرة على منخفض دير المناصب، وانتهت العملية بالسيطرة على الحافة الشمالية للمنخفض فقط، دون الحافة الجنوبية، التي فشلت القوات في السيطرة عليها، وساد الهدوء ميدان العلمين، مرة أخرى في انتظار المعركة الكبرى[25] التي حدد مونتغمري ليلة 24/23 أكتوبر 1942م، بداية لها، بعد مرحلة من التحضير الشاق والدقيق، وتم ذلك على ثلاث مراحل:

بدأت المرحلة الأولى في ليلة 24/23 أكتوبر، واستمرت حتى ليلة 25/24 أكتوبر، وهي مرحلة اختراق الموقع الدفاعي للمحور وتثبيت القوات المهاجمة داخل الموقع الذي تم اختراقه بهجوم نيران مشتعلة زاحفة من 800 مدفع، وقد تمت العملية في القطاع الشمالي كما خطط لها، بينما أوقف الهجوم في القطاع الجنوبي بخسائر فادحة تكبدها اللواء التاسع مدرع من الفرقة النيوزيلندية.

أما المرحلة الثانية بدأت من 25 أكتوبر، واستمرت حتى أول نوفمبر، ودارت فيها أعنف معارك الدبابات عند تل العقاقير، بين دبابات الجيش الثامن والدبابات الألمانية، وانتهت بتدمير 240 دبابة ألمانية، ووقوع 7,802 ألماني، و22 ألف إيطالي أسرى في يد الجيش الثامن.

ثم كانت المرحلة الثالثة التي بدأت يوم 2 نوفمبر، واستمرت حتى الرابع منه، بقصف نيراني مكثف من المدفعية، والطائرات البريطانية، واستمرت ثلاث ساعات، تبعه هجوم لقوات الجيش الثامن، على دفاعات المحور[26].

لذا لم تستطع القوات الألمانية والإيطالية المشتركة الصمود طويلاً في وجه القوات البريطانية المهاجمة، فلم يأت يوم 2 نوفمبر 1942م، حتى أصبحت هذه القوات في حالة اندحار كامل بعد أن فقدت حوالي 10 آلاف قتيل، و15 جريحاً، وحوالي 30 ألفاً من الأسرى، فضلاً عن تدمير أربعمائة دبابة، في حين لم تفقد القوات البريطانية سوى 13,500 جندي ما بين قتيل وجريح ومفقود[27]. وفي هذا الصدد علّق تشرشل حول انتصارات قوات بلاده في العلمين قائلاً: "يمكننا أن نقول إننا قبل العلمين لم نحرز انتصاراً وبعد العلمين سوف لن نُمنى بهزيمة"[28].

في أعقاب الهزيمة اعتقد رومل أن الوقت قد حان للانسحاب من العلمين بعد ضياع الأمل بالوصول إلى السويس والاستيلاء على مصر، وقبل أن ينجح الجيش الثامن في اختراق دفاعاته هناك،أصدر أوامره بالانسحاب من العلمين في ليلة 5/4 نوفمبر 1942م، تحت ضربات الجيش البريطاني المتلاحقة التي

قطعت 700ميل هي المسافة بين العلمين وبنغازي في خمسة عشر يوماً رغم رداءة الطقس، وبعد أن تجاوزت ممر حلفا والسلوم، أعادت احتلال البردي يوم 11 نوفمبر 1942م، وفي 13 منه أعادت احتلال طبرق ثم درنة يوم 15 منه، وبعد أن استولت على عين غزالة ومهبط مرتوبة للطائرات، الواقعين شرقي مدينة درنة[29]، عندئذ قسمت القوات المطاردة إلى خطين التقدم على الطريق الساحلي عبر الجبل الأخضر، والتقدم عبر الطريق الصحراوي إلى "مسوس" و"عنتلان"، وعلى الرغم من هطول الأمطار الغزيرة، استولت على بنغازي يوم 20 نوفمبر 1942م، وبذلك انتهت مرحلة المطاردة في برقة[30].

ثم واصلت قوات الحلفاء تقدمها بمشاركة الفصائل الليبية ودخلت مصراته في 18 يناير عام 1943م، وعلى الخمس في 20 منه، وفي صباح يوم 23 يناير دخلت مدينة طرابلس كتيبة نيوزيلندية والكتيبة الخامسة من الجيش الثامن البريطاني بقيادة مونتجمري (Montgomery) بالتتابع[31]، بعد أن فشلت جميع المحاولات التي بذلت للدفاع عنها، وبعد أسبوعين تم تطهير الإقليم نهائياً من الوحدات العسكرية التابعة لقوات المحور، وتكلم تشرشل (Churchill) رئيس وزراء بريطانيا، أمام القوات الحليفة في مدينة طرابلس في 3 فبراير 1943م قائلاً "إن ما أنجزه الجيش الثامن ومضة ستتوهج في سجل التاريخ"[32].

والجدير بالذكر، أن مونتجمري تقبل الاستسلام الرسمي لطرابلس في يوم 23 يناير 1943م في بورتابينتو (Porta Benito) باب بن غاشير حالياً بحضور حاكم طرابلس الإيطالي دنتي دي بيراخبو (Denti di Piragno) ونائبه ورئيس البلدية، وتكلم مونتجمري بهذه المناسبة قائلاً "إنه لن يكون هناك شغب من جيش الاحتلال، وستصان الأملاك الشخصية، وسيبقى البوليس الإيطالي يزاول أعماله، وعلى السكان المدنيين أن يقدموا ولاءهم العام، وأن لا يكون هناك أي عائق أو أعمال انتقامية نحو الإيطاليين[33]

وبهزيمة قوات المحور في شمال أفريقيا تم تحرير التراب الليبي من دنس الاحتلال الإيطالي البغيض بعد مرور أكثر من ثلاثين عاماً عليه، ولكن ما هي الأسباب الحقيقية التي كانت وراء هذا الاندحار في وقت كانت قوات المحور في أوج انتصاراتها في مختلف الجبهات؟ لا شك أن الإجابة عن هذا السؤال تتطلب تناول مواضيع كثيرة لها علاقة بطبيعة هذه الحرب والتركيبة الفكرية لكل من الدكتاتور النازي والدكتاتور الفاشي، اللذين كانا المصدرين الوحيدين للأوامر العسكرية، وعدم قدرة القادة الميدانيين على التصرف وفق مستجدات طبيعة المعارك، فعلى الرغم من العبقرية التي يتمتع بها رومل، إلا أنه كان يفتقر لما يتمتع به مونتغمري من حرية التصرف وفق مستجدات طبيعة المعارك[34].

وفضلاً عن ذلك كانت هناك صعوبات تعترض قوات المحور تمثلت في تأمين الإمداد بالتجهيزات والعتاد والسلاح (الدعم اللوجستي) من قبل البحرية البريطانية على ممرات البحر المتوسط حيث قامت بضرب الإمدادات الرئيسية للجيوش الألمانية مما أدى إلى فقد الأمان في أغسطس 1941م قرابة 35% من مواد التموين لاسيما مواد الوقود وخسارة 65% من حمولة السفن، وفوق هذا كان انشغال الحكومة

الألمانية بالحرب الدائرة على الجبهة الروسية عائقاً أمام وصول الإمدادات للفيلق الأفريقي[35]،إلا أن أهم هذه المعوقات كانت طبيعة المقاتلين الإيطاليين ومدى اندفاعهم ومدى حرصهم على تنفيذ الأوامر الصادرة لهم ومقدرتهم في استخدام أسلحتهم بفاعلية وكفاءة، فليس لديهم ما يفخرون به من بطولات في تاريخهم المعاصر هذا من جانب، ومن جانب آخر طبيعة العلاقة التي تربطهم بحلفائهم الألمان والأمة الأعظم عبقرية والأكثر جلداً في التاريخ العسكري[36].

إلا أن أكثر ما يهمنا في هذه الإشكالية هي طبيعة العلاقة بين الإيطاليين والشعب الليبي المنحاز بشكل مطلق للقوات البريطانية والقوة السنوسية الصغيرة المرافقة لها وطبيعة العلاقة بين الجيش الإيطالي والمجندين الليبيين المدفوعين بالقوة للقتال دفاعاً عن مصالح المحتل البغيض، فقد بلغ عددهم 17 ألف تعوزهم الروح المعنوية وغير مقتنعين بخوض غمار حرب نيابة عن مستعمر احتل أراضيهم وصادرها؛ لذا على الرغم من شجاعة هؤلاء واستماتتهم أمام المصاعب والموت، نرى استسلامهم للجانب البريطاني أو هروبهم من ساحة المعركة والتحاقهم بالقوة السنوسية، أو كونها عيوناً على المحور، كان أمراً معقولاً[37]. فقد كانت الدعاية السنوسية قوية وفعالة لاجتذاب هؤلاء أو لدفع السكان المحليين لتقديم ما يمكنهم من المساندة للقوات البريطانية من مؤن وزاد وتهريب أسري وتقديم المعلومات الاستخباراتية والضرورية وجعل بيوتهم مفتوحة على مصراعيها أمام البريطانيين "إن كل خيمة كانت بمثابة الملجأ وأن كل عربي كان بمثابة الدليل[38].

وقد صرح أنتوني إيدنAntoni Eden وزير خارجية بريطانيا في مجلس العموم في 8 يناير 1942م بقوله:

" قامت هذه القوة [الوحدات الليبية] بخدمات كبيرة ساندتنا فيها أثناء الحملة الناجحة في الصحراء الغربية في شتاء 1940- 1941م وها هي ذي تقوم الآن بدور فعال في الحملة القائمة حالياً، وأنني لاغتنم هذه الفرصة لأعرب للسيد إدريس السنوسي وأتباعه عن امتنان حكومة صاحب الجلالة للعون الذي قدموه ولا يزالون يقدمونه في الجهد العربي البريطاني، إننا نرحب بمشاركتهم لقوات جلالته في محاولة القضاء على الخصوم المشتركين"[39].

وظل البريطانيون لوقت طويل يتذكرون المساعدات القيمة التي قدمها الليبيون في الحرب لتحرير بلادهم، وبهذا المعنى فقد صرح الميجوربنتكوف من راديو لندن في 31 مايو عام 1947م معترفاً بدور الليبيين في المعارك القائمة قائلاً:

" إني لا أعدو الحقيقة حين أقول أن عرب برقة كانوا معبر النصر للحلفاء في هذه الحرب، وأن جميع أفراد الجيش الثامن مدينون بحياتهم لعرب برقة"[40].

هذا وقد كان لمشاركة الفدائيين الليبيين مع فرق الحلفاء دور كبير لإحراز النصر، وكان من أهمها تدمير منشآت حيوية والتسلل إلى المطارات والمستودعات وتفجير ما بها، وإغراق السفن الراسية في ميناء بنغازي وموانئ أخرى، ونصب الكمائن لدوريات العدو، والاعتراض لقوافله المحملة بالتموين والإمداد الحربي، هذا وقد تميزت أعمال الكثير منهم بالشجاعة والإقدام، حتى أن أحد عشر ضابطا من رئاسة أركان الحرب للجيش البريطاني، تلقوا أوسمة وميداليات الحرب تقديراً لهم وعرفاناً بأعمالهم البطولية في فرق الجيش والمجموعات الفدائية[41].

كما قدم أحد البدو الليبيين، ويدعى محمد علي، معلومات عسكرية مهمة للبريطانيين حول خطط الألمان وهجماتهم، تلقاها مباشرةً من الضباط الألمان الذين كانوا يتحدثون بحضوره عن خططهم الحربية بلغتهم الألمانية ولم يكن يخطر ببالهم أن هذا البدوي من الأعراب الليبيين يجيد اللغة الألمانية[42].

وقال مسؤول بريطاني هو السيد ڤوت Vote:

"إن الشجاعة التي اشتهر بها الليبيون عن جدارة قد ظهرت مرة أخرى في الحملات الأخيرة، فنحن مازلنا لا نعرف الكثير من المساعدات التي قدموها لنا خلف خطوط الأعداء كما أن مساعدتهم الفردية لكثير من الضباط البريطانيين شواهد على الكرم العربي والمجازفة"[43].

وإذا كانت هذه الاعترافات قدمت دليلاً على الدور الكبير الذي قام به الليبيون لصالح بريطانيا وحلفائها من أجل تخليص الشعب والأرض الليبية من العدو الإيطالي وما بعده، فإن هذه الاعترافات قد لا تخلو من أغراض سياسية كانت نصب أعينهم. إلا أني على اعتقاد جازم أن المسؤولين والسياسيين والقادة البريطانيين كانوا جادين في تصريحاتهم وصادقين فيما قالوا بشأن عظم أهمية المشاركة الليبية إلى جانبهم في الحرب العالمية الثانية بدليل النتائج التي جاءت بعد أقل من ست سنوات من نهاية الحرب عندما منح الليبيون استقلال بلادهم بكامل ترابها، رغم كل الدماء التي قدمها البريطانيون وحلفاؤهم من أجل طرد المحتل الإيطالي البغيض وحلفائهم عنها. وتجدر الإشارة إلى أنه في عام 1943م، قد سرحت القوة العربية الليبية وحلت محلها قوة دفاع برقة[*][44].

الخاتمة :

وهكذا يتبين لنا من دراسة أثار الحرب العالمية الثانية فوق التراب الليبي أن تحولت ليبيا إلى ساحة ساخنة من ساحات الحرب العالمية الثانية، فقد كانت وعلى مدى ثلاث سنوات مسرحاً لإعمال الكر والفر، تبادل خلالها المتحاربون الظفر والهزيمة أكثر من مرة،

وعلى الرغم من المساعدات القيمة التي قدمها الليبيون للإنجليز في الحرب لتحرير بلادهم فإن رحى الحرب لم ترحم الليبيين فما من أسرة إلا وفقدت العديد من أفرادها، فجعلت من الأرض الليبية بوتقة متقدة أحرقت البشر، والزرع، والضرع، وخلفت دماراً في العمران، وانتهاكاً لمصالح السكان، وحقولا واسعة

متناثرة من الألغام، ومقابر جنود حطت بها الأقدار فوق الأرض الليبية، ومعدات، وآليات حربية محطمة، ومبعثرة.

وهكذا استتب الأمر للإنجليز في ليبيا على أنقاض السلطة الإيطالية، وبدأوا يسيرون الأعمال في ليبيا سواء من النواحي السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية.

هوامش البحث :

(1) محمد حافظ إسماعيل وآخرون، الحرب العالمية الثانية في البحر الأبيض المتوسط 1943/40م، رئاسة أركان الجيش المصري، 1951م، ص 9، بيير رونوفن، تاريخ القرن العشرين، ترجمة نور الدين حالوم، ط 2، دار الفكر، عام 1980م، ص 506.

(2) ميشيل كارفر، معارك طبرق، ترجمة إدارة التوجيه المعنوي، د.ت، ص 9.

(3). Heckstall, Anthony, Tobruk, Anthony Blond, London, 1950, P. 14 – 15.

(4) الجيش المصري، العمليات الحربية في شمال أفريقيا، في الحرب العالمية الثانية 1940 – 1943م، القوات المسلحة المصرية، الجزء الأول، القاهرة، 1957م، ص 77.

(5) فوزن ايزبيك، سنوات المصير – وقائع الحرب الليبية 1943/41م، ترجمة رضا اسطنبولي، دار اليقظة العربية، دمشق، 1954م، ص 32؛ أنظر كذلك Anthony Smith, Tobruk, Anthony Blond co., Great Britain, 1960, P. 14.

(6). Chester Wilmot, Tobruk, 1941, Capture-Siege, London, 1944. P. 2.

(7) محمد حافظ إسماعيل، وآخرون، المرجع السابق، ص 27؛

George Forty, AfrikaKorps at War: The Road to Alexandria, London, 1978, P. 20.

(8) عمر أبو النصر، المارشال رومل، مكتب أبو النصر للتأليف والترجمة، بيروت، 1969م، ص 27؛ محمد الربان، دارسات في تاريخ ليبيا، دار الكندي للنشر، 1999م، ص 144. (انظر الخريطة رقم - 1- توضح هجوم القوات البريطانية والحليفة من حدود مصر إلى الأراضي الليبية.)

(9) جاك بيشون، المسألة الليبية في تسوية السلام، ترجمة علي ضوء، طرابلس، مركز الجهاد للدراسات التاريخية، عام 1991م، ص 364.

(10). Chester Wilmot, Op, cit., P. 77 – 78.

(11) فون ايزبيك، المرجع السابق، ص 50 – 72. (انظر الخريطة رقم - 2- توضح هجوم قوات المحور من داخل ليبيا إلى الحدود المصرية.)

(12) الجيش المصري، المرجع السابق، ص 77 – 78.

(13) ميشيل كارفر، المرجع السابق، ص 161.

(14) فاروق الحريري، حملات الحرب العالمية الثانية مع الدروس المستنبطة من كل حملة، ج 1، بغداد، مديرية المطابع العسكرية، 1983م؛ George Forty, AfrikaKorps at War: The Road to Alexandria, London, 1970, P. 151.

(15) الجيش المصري، العلميات الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية 40 – 1943م، القوات المسلحة المصرية، الجزء الثاني، القاهرة، 1957م، ص 187 – 188.

(16) نفس المرجع، ص 189 – 190؛ انظر كذلك Felix De Grand Combe, BirHakeim 26 Mai – 10 Jun 1942, Press universitaires De France, Paris, 1945, P. 15 – 7.

[17] سليمان محمود سليمان، روميل والفيلق الأفريقي حرب الصحراء، الدار الجماهيرية للطباعة والنشر، طرابلس، 1998م، ص 246.

[18] نفس المرجع، ص 247.

[19] بروشين، تاريخ ليبيا من نهاية القرن التاسع عشر حتى عام 1969م، ترجمة – عماد حاتم، مطبعة الإنشاء، دمشق، 1988م، ص 232.

[20]سليمان محمود سليمان، المرجع السابق، ص 254 – 255.

[21]. Richard Simpkin, Tank Warfare, London, 1979, P. 47.

[22] عزيز محمد مصطفى، موجز العمليات الحربية بشمال أفريقيا، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، د.ت، ص 32.

[23] فوزن ايزبيك، المرجع السباق، ص 97.

[24] الجيش المصري، العمليات الحربية في الحربية في شمال أفريقيا في الحرب العالمية الثانية 1940 – 1943م، القوات المسلحة المصرية، الجزء الثالث، القاهرة، 1957م، ص 224 – 225.

[25]سليمان محمود سليمان، المرجع السابق، ص 278.

[26] إسماعيل محمد حفاظ وآخرون، المرجع السابق، ص 80 – 81؛ عن معركة العلمين يمكن مراجعة:

War Diary, 1393 – 1945, Italy, 1995, P. 85 – 95.

[27]عز الدين عبد السلام مختار، المرجع السابق، ص 217؛ محمد صفوت، معركة العلمين، القاهرة، دار الكتاب العربي، 1957م، ص 28 – 34.

[28] ونستون تشرشل، مذكرات تشرشل، ترجمة خيري حماد، مكتبة المثنى، بغداد، ط 2، 1965م، ص 736.

[29] مصطفى عبد العزيز الطرابلسي، المرجع السابق، ص 224.

[30] بورشين، المرجع السابق، ص 232.

[31].(Montgomery of Alamein, A History of Warfare (cleevland- New York, 1968), P. 514.

[32]. Lord Rennel. British Military Administration of Occupied Territories in Africa, 1941 – 1947, London: Green Wood Press, 1984, P. 291.

[33].John Wright, Libya. Nations of Modern World (London, 1969), P. 187.

.وحول الطريقة التي تم فيها تسليم المدينة لمونتجمري، راجع ما قاله حاكم طرابلس في كتابه:

Denti di Piragno, A cure for Surpents (London, 1955), PP. 248 – 249.

[34] ليدل هارت، القادة الألمان يتكلمون، ترجمة أكرم ديري، المقدم الهيثم الأيوبي، دار القلم، بيروت، 1948م، ص 178.

[35]فاروق الحريري، المرجع السابق، ص131؛ عزيز محمد مصطفى، المرجع السابق، ص27.

[36] المواطنون الليبيون والحرب العالمية الثانية من منظور أوروبي، ترجمة لفصل من كتاب أفريقيا الشمالية 1940-1943م، لوشيوشيقا، مجلة الإنصاف، العدد الأول، مركز جهاد الليبيين، طرابلس ، ص134؛ انظر إلى:

George Forty ,op.cit, pp. 18- 19.

[37] محمد فؤاد شكري، السنوسية دين ودولة، ص384.

(38) محمد فؤاد شكري، ميلاد ودولة ليبيا الحديثة، ص107.

(39) نقلاً عن بروشين، المرجع السابق، ص233.

(40) نقلاً عن هنري أنيس ميخائيل، المرجع السابق، ص123.

(41)صحيفة برقة الجديدة، العددان 1324 و 1324 بتاريخ 21/ 4/ 1950م، ص3 من كل عدد.

(42) كارل بول، ثعالب الصحراء، ترجمة دار القلم، بيروت: دار القلم، 1980م، ص189.

(43) نقلاً عن عز الدين عبد السلام مختار، المرجع السابق، ص221.

(*) تكونت من فرق القوة العربية الليبية عندما أعلن مونتغمري احتلال برقة يوم 11/ 11/ 1942م، وكان برفقة الجيش الثامن أربعة فرق من القوة العربية الليبية التي شاركت في الحرب واختير منهم مجموعة يصل عددها إلى حوالي 700، وتم تدريبهم سريعاً على أعمال الشرطة، ومنهم على سبيل المثال بوقوطين ومفتاح بوشاح وبلقاسم السنوسي ورجب عبيدة، وعبد الله الجيلاني، ولكي يتوسعوا كونوا مدرسة أساس لتدريب الشرطة وكانت في بنغازي تسمى مدرسة الأساس "الحسابات العسكرية حالياً".

(44). وثائق وزارة الخارجية البريطانية، مذكرة دي كاندول (De Candole) عن الجمعية الوطنية البرقاوية رقم 98327/ F.O 371 بتاريخ 27/ 10/ 1951م؛ نقلاً عن عز الدين عبد السلام مختار، المرجع السابق، ص222.